الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

❖ **الركن الثالث: الإيمان بالكتب،** ولا يتم إيمان امرئ بالكتب حتى يحقق أمورًا أربعة:

الأمر الأول: الإيمان بأنها منزلة من عند الله حقًا: القرآن التوراة الإنجيل الزبور صحف إبراهيم وموسى، هذه الكتب ليست من كلام آدمي؛ بل هي وحي يوحى أنزله الله تعالى على أنبيائه، فهذه أعظم خصيصة لها أنها منزلة من عند الله حقًا.

الأمر الثاني: الإيمان بما علمنا اسمه منها باسمه، وما لم نعلم اسمه فإننا نؤمن به إجمالًا، فالذي نعلمه من كتب الله: التوراة، والإنجيل، والزبور، والقرآن، وصحف إبراهيم، وصحف موسى على خلاف هل صحف موسى هي التوراة، أم أنها فقط ما تضمنت من الوصايا العشر؟ فما علمنا اسمه آمنا به باسمه، لا نسميه كما تسميه النصارى واليهود: العهد القديم، والعهد الجديد، لا، بل التوراة والإنجيل هكذا.

الأمر الثالث: الإيمان بما صح من أخبارها، وهذه مسألة مهمة، وذلك أن كتب الله عز وجل قد امتدت إليها يد التحريف سوى القرآن، فما صح من أخبار الكتب الماضية وثبت؛ فإننا نؤمن به، وأما ما لم يثبت فلا، لا يلزمنا ذلك، ونحن نعلم أن الله تعالى قد حفظ القرآن العظيم فقال : {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } [الحجر: ٩] ، أما ما تقدمه من الكتب؛ فقد أخبر الله تعالى عن أهل ذلك الكتاب {فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا }؛ فتوعدهم؛ فقال: {فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ}. [البقرة: ٧٩]

❖ **وموقفنا من الإسرائيليات –وهي المأثور من كتب أهل الكتاب في التوراة وفي الإنجيل– لا يخلو من ثلاثة أحوال:**

الحال الأولى: أن تكون موافقة لما جاء في كتابنا؛ فنؤمن به ونصدقه؛ لأن كتابنا يشهد له، **فمثلًا:** جاء في التوراة: ذكر الطوفان، وخروج موسى عليه السلام بقومه من مصر، وانشقاق البحر؛ فموقفنا من هذه الأخبار: أن نؤمن بها ونصدق؛ لأن كتابنا جاء مؤيدًا لها مصدقًا لها، وإن كان لا يلزمنا الإيمان بالتفاصيل التي يذكرونها؛ لكن نؤمن بأصل القضية.

الحالة الثانية: أن تكون مخالفة لما جاء في كتابنا؛ فنرده ونرفضه ونعلم أنه مما أدخلوه وحرفوه بأيديهم؛ **فمثلًا:** جاء في كتبهم –والعياذ بالله– أن لوطًا عليه السلام شرب الخمر وزنى بابنتيه – وحاشاه صلى الله عليه وسلم –أنا قرأت هذا بنفسي وبعيني رأسي في كتبهم– ؛ فموقفنا من مثل هذا الخبر: أن نكذبه ونرفضه ونعلم أن هذا مما أدخلوه في كتب الله؛ فنرده.

الحال الثالثة: أن لا يكون في كتابنا ما لا يصدقه وما لا يكذبه؛ فحينئذٍ لا نصدق ولا نكذب ونقول: آمنا بما أنزل الله من كتاب، وهذا كثير جدًا وغالبه لا طائل من ورائه؛ كأن مثلًا يختلفوا في اسم الكلب الذي تبع أهل الكهف وصفته

هذه المادة لم تراجع على الشيخ ـ حفظه الله ـ [1]

ولونه وما إلى ذلك؛ فهذا مما لا حاجة لنا به، ولكننا لا نصدق ولا نكذب، أو يأتي أخبار وقصص ونحو ذلك؛ فالمنهج في هذا النوع الذي لا نصدق ولا نكذب به: هو جواز الرواية والتحديث به؛ لقول النبي -صلى الله عليه وسلم- : (وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ)(1)، ولكن لا نقطع بثبوته ولا بنفيه كما في الحديث: (مَا حَدَّثَكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَلاَ تُصَدِّقُوهُمْ وَلاَ تُكَذِّبُوهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ فَإِنْ كَانَ بَاطِلاً لَمْ تُصَدِّقُوهُ وَإِنْ كَانَ حَقًّا لَمْ تُكَذِّبُوهُ)(2).

فمنهج السلامة أن لا نتسرع بتصديق ولا تكذيب، أما ما شهد كتابنا بصحته؛ فإنا نؤمن به لثبوت ذلك في كتابنا، وما شهد كتابنا بنقضه؛ فإننا نرفضه لأن كتابنا شهد بنقضه.

الأمر الرابع: هو العمل بالشرع المنزل إلينا في كتابنا وهو القرآن العظيم، و لم نقل في هذا المقام العمل بالشرائع السابقة؛ لأن كتابنا القرآن العظيم ناسخ للكتب السابقة مهيمن عليها، وذلك أن الله تعالى في سورة المائدة -لما ذكر التوراة ثم ذكر الإنجيل- قال: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ} [المائدة: ٤٨] ، ومعنى مهيمنًا عليه: أي حاكمًا وقاضيًا وناسخًا؛ فلا يجوز لأحد أن يعمل بشريعة التوراة ولا بشريعة الإنجيل؛ لكن إن أقر شرعنا ما جاء في التوراة أو الإنجيل؛ فإننا نعمل به لإقرار شرعنا له، **ومثال ذلك:** قوله تعالى عن التوراة {وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ } [المائدة: ٤٥] فهذا مكتوب في التوراة وأقره شرعنا وزاد عليه شرعنا: {فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ } [المائدة: ٤٥] ، و لم يكن ذلك في شرعهم.

❖ **الركن الرابع: الإيمان بالرسل،** ولا يتم إيمان امرئ بالرسل حتى يحقق أمورًا أربعة:

الأمر الأول: الإيمان بأن رسالتهم من عند الله حقًا، يعني اصطفاء واختيار من الله عز وجل، وأن هذه الرسالة لا تحصل بالرياضة والمجاهدة -كما زعم ذلك زنادقة الصوفية-؛ فإن زنادقة الصوفية يزعمون أن النبوة ممكن تكتسب بالرياضة والمجاهدة حتى تسمو النفس وتصل إلى مرتبة النبوة، كذبوا بل النبوة والرسالة محض اصطفاء من الله عز وجل قال الله تعالى: {اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} [الحج: ٧٥] ، وقال تعالى {اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ } [الأنعام: ١٢٤] ، ونعى الله تعالى على المشركين أن قالوا: {وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (٣١) أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } [الزخرف: ٣١، ٣٢].

الأمر الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه من رسل الله باسمه، ومن لم نعلم اسمه؛ فإننا نؤمن به إجمالًا، ورسل الله كثر؛ لأن الله تعالى يقول: {وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ } [فاطر: ٢٤] ، { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ

(١) صحيح البخاري (٣٤٦١).

(٢) سنن الترمذي (٣٦٤٦) وضعفه الألباني.

الْمُكَذِّبِينَ } [النحل: ٣٦] ، فمن علمنا اسمه منهم؛ آمنا باسمه، ومن لم نعلم اسمه؛ فإنا نؤمن به إجمالًا، وقد ورد من أسماء الأنبياء والمرسلين في القرآن العظيم خمسة وعشرون نبيًا رسولًا؛ فهؤلاء نؤمن بهم بأسمائهم، أما من لا نعلم اسمه منهم؛ فإننا نؤمن بأن الله تعالى قد بعث في كل أمة رسول وكفى؛ ولهذا إذا مرت بنا بعض الأسماء التي في كتب أهل الكتاب مثل أشعياء أرميا حزقيال يوشع أو يسوع إلى غير ذلك؛ فإننا لا نقطع بذلك؛ لكن نؤمن أن الله تعالى بعث رسلًا كثرًا إلى أقوامهم.

الأمر الثالث: تصديق ما صح من أخبارهم، واعلموا أنه لا يوجد سند متصل إلى نبي من أنبياء الله إلا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فإن هذه الأمة قد مَنَّ الله تعالى بها عليها بالرواية بالإسناد؛ فتجد الأسانيد المتصلة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا تجد هذا في الأمم الأخرى، قد نسخت أسانيدها لكن ربما حدثنا نبينا بشيء من ذلك:

كقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَافْعَلْ مَا شِئْتَ)[1]، إذن نؤمن بما صح من أخبار الأنبياء السابقين.

الأمر الرابع: العمل بشريعة من بُعث إلينا منهم، وهو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم؛ فنحن وجميع البشر مأمورون باتباع والعمل بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } [الأعراف: ١٥٨] ؛ فلا يسعُ أحد بعد بعثة محمد-صلى الله عليه وسلم إلا أن يتبعه، وفي "صحيح مسلم" من حديث أبي هريرة رضي الله عنه:(وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ يَسْمَعُ بِى أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِىٌّ وَلاَ نَصْرَانِىٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِى أُرْسِلْتُ بِهِ إِلاَّ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ)[2]، هكذا ما في أوضح من هذا التعبير، وتعجب حينما تجد من الناس، بل من بعض من ينتسب إلى الإسلام من يقول: لليهودي وللنصراني أن يبقى على نصرانيته كل يعبد الله كما يشاء، إن هذا من قول الله تعالى: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [آل عمران: ٨٥] ، ومن الحديث الذي ذكرناه آنفًا: :(وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ يَسْمَعُ بِى أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ -يعني أمة الدعوة- يَهُودِىٌّ وَلاَ نَصْرَانِىٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِى أُرْسِلْتُ بِهِ إِلاَّ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ).

❖ **الركن الخامس: الإيمان باليوم الآخر**، ولا يتم إيمان امرئ باليوم الآخر حتى يحقق أمورًا أربعة:

---

(١) صحيح البخاري (٣٤٨٣).

(٢) صحيح مسلم (١٥٣).

الأمر الأول: الإيمان بما يكون في القبر؛ لأن حقيقة اليوم الآخر يبتدئ من خروج الروح يعني مما بعد الموت كما قال شيخ الإسلام في "الواسطية": "ومن أصول أهل السنة والجماعة: الإيمان باليوم الآخر، وهو ما يكون بعد المـــوت)، أو نحو من هذا، **والذي يكون في القبر أمران:**

الأمر الأول: فتنة القبر: والمراد بها سؤال الملكين للميت عن دينه وربه ونبيه؛ لأن فتنة معناها في اللغة :الاختبار، كما يقال: فتن الصائغ الذهب إذا أدخل الذهب المخلوط بالمعادن والأوشاب الأخرى في النار فتساقط؛ فـــلا يبقـــى إلا الذهب الخالص، وهذه فتنة، ابتلاء، اختبار، والنبي صلى الله عليه وسلم قال: (أما إنكم تفتنون في قبوركم قريبًا من فتنة المسيح الدجال).

الأمر الثاني: نعيم القبر وعذابه: وذلك أن المؤمن ينعم في قبره إلى أن تقوم الساعة ،والكافر يعذب في قبره إلى أن تقوم الساعة.

الأمر الثاني: الإيمان بالبعث: وهو الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى يخرج الناس من قبورهم يوم القيامة حفاة: غير منتعلين، عراة: غير مكتسين، غُرلًا: غير مختونين، بُهمًا: أي ليس معه شيء، والإيمان بالبعث: البعث الجسماني لا كما يـــدعي بعض الملاحدة أنه بعث روحاني؛ فهو بعث بالروح والبدن معًا، {يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ (٦) خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ (٧) مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ }[القمر٦-٨] هذا من أصول الإيمان.

الأمر الثالث: الإيمان بالحساب: وهو أن الله سبحانه وتعالى يحاسب الناس يوم القيامة، **والحساب نوعان: حســـاب المؤمنين وحساب الكافرين:**

- **فأما حساب المؤمنين؛ فهو على نوعين أيضًا**: أحدهما العرض، والثاني المناقشة:

فالعرض يكون لمن سبقت له من الله الحسنى ممن أراد الله كرامته، ويدل عليه حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: (إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ فَيَقُولُ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا فَيَقُولُ نَعَـــمْ أَيْ رَبِّ حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ قَالَ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ)[1]، ما أسعده، ما أهنأه، نجا، زُحزح عن النار.

أما المناقشة: فهي التي تكون لعصاة الموحدين الذين ارتكبوا كبائر لم يشأ الله تعالى أن يغفرها؛ بـــل أراد أن يعـــذبهم عليها بقدر ذنوبهم ثم يؤولون إلى الجنة.

والدليل على هذا التقسيم: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يومًا : (لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ إِلَّا هَلَكَ قَالَتْ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ أَلَيْسَ يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ [فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا

(١) صحيح البخاري (٢٤٤١).

يَسِيرًا] قَالَ ذَاكَ الْعَرْضُ يُعْرَضُونَ وَمَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ هَلَك)[1]، يعني من يُدقق معه في المحاسبة؛ فهذا دليل على أنه سيعذب بذنبه -أجارنا الله وإياكم-.

- **أما حساب الكافرين؛** فليس حساب من توزن حسناته وسيئاته؛ لأنه لا حسنات لهم أصلًا، ليس لهم حسنات حتى يدخلوا في الموازنة بين الحسنات والسيئات، وإنما يقررون بذنوبهم؛ فيعترفون بها على رؤوس الأشهاد ثم يلقى بهم في النار.

الأمر الرابع: الإيمان بالجنة والنار: لا يتم إيمان امرئ باليوم الآخر حتى يؤمن بالجنة والنار: أن الجنة حق، وأن النار حق، وأن الجنة هي الدار التي أعدها الله لأهل كرامته، وأن النار هي الدار التي أعدها الله لأهل مهانته، وأن في الجنة من صنوف النعيم الحسي والمعنوي ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وأن في النار كذلك من صنوف العذاب ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر -أجارنا الله وإياكم-.

❖ **الركن السادس: الإيمان بالقدر،** ولا يتم إيمان امرئ بالقدر حتى يحقق أمورًا أربعة:

الأمر الأول: الإيمان بعلم الله المحيط بكل شيء، جملة وتفصيلًا، أزلًا وأبدا، يعني ما كان وما يكون وما سوف يكون وما لم يكن كيف لو كان يكون: هذه مرتبة العلم، سواء ما تعلق بأفعاله سبحانه، أو ما تعلق بأفعال عباده، فمعنى هذه المرتبة: أن يعتقد الإنسان اعتقادًا جازمًا بأن الله لا تخفى عليه خافية، وأنه علم ما الناس عاملون من خير وشر وطاعة ومعصية، كما علم أرزاقهم وآجالهم.

الأمر الثاني: الإيمان بكتابة الله تعالى لعلمه ذلك في اللوح المحفوظ، كما قال الله عز وجل {فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ} [البروج: ٢٢] ، وكما قال سبحانه: {يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ } [الرعد: ٣٩] الذي هو اللوح المحفوظ، وكما قال نبيه صلى الله عليه وسلم في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: (كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلاَئِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ)[2]، جميع مقادير الخلائق، لا يتحرك متحرك ولا يسكن ساكن إلا وقد كتبه الله تعالى قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة حتى العجز والكيس، يعني حتى الصفات النوعية للناس من كون بعض الناس فيه صفة العجز، وبعضهم فيه صفة الحزم، كل شيء قد كتبه الله، لما خلق الله القلم قال له أكتب قال: يارب ما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة؛ فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة).

الأمر الثالث: الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، لا يكون شيء إلا بإرادته ومشيئته.

---

(١) صحيح البخاري (٤٩٣٩).

(٢) صحيح مسلم (٢٦٥٣).

الأمر الرابع: الإيمان بخلقه سبحانه لجميع الأشياء، ذواتها وصفاتها وحركاتها؛ فالله خالق وما سواه مخلوق، ما في أحد يخلق مع الله، ليس العبد يخلق فعل نفسه، الله خالق كل شيء، {وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا} [الفرقان: ٢]

إذن هذه الأمور الأربعة هي أركان الإيمان بالقدر، لا يتم إيمان امرئ بالقدر حتى يحقق هذه الأمور الأربعة، وبهذا نكون قد أتينا على هذا التشجير المبارك: شجرة الإيمان التي جعلنا لها ستة فروع، ولكل فرع أربعة أغصان، فتصوروا هذه الشجرة المباركة، واحفظوها دائمًا في أذهانكم بحيث إذا أردتم أن تعرفوا بدينكم وإيمانكم أن تعرضوها على هذه الصفة.

الدليل على مسألة الإيمان في القرآن العظيم: لو نظرنا في القرآن العظيم؛ لوجدنا أن الله سبحانه وتعالى قد ذكر خمسة من الأركان مجتمعة في موضعين؛ فقال سبحانه: {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ} [البقرة: ١٧٧] هذه خمسة بقي القدر، ودليل القدر: قوله تعالى: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ } [القمر: ٤٩] ، وفي آية أخرى قال: {وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا } [النساء: ١٣٦] فذكر الخمسة مجتمعة، وفي آخر سورة البقرة ذكر أربعة منها: {كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ} [البقرة: ٢٨٥] ، أما حديث جبريل؛ فقد جمع الستة؛ فالدليل قائم صريح على هذا.

نختم بالمرتبة الثالثة: وهي الإحسان، وقد عرفها النبي صلى الله عليه وسلم: (أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ)[1]، ومعنى ذلك: أن الإحسان مرتبة أخص من الإيمان، ومعنى الإحسان في اللغة: الإتقان: (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملًا أن يتقنه)، فسرَّه النبي صلى الله عليه وسلم بمرتبتين:

المرتبة الأولى: أن تعبد الله كأنك تراه.

المرتبة الثانية: فإن لم تكن تراه؛ فإنه يراك.

قال العلماء: المرتبة الأولى: مرتبة الطلب، والمرتبة الثانية: مرتبة الهرب، ومرتبة الطلب أشرف من مرتبة الهرب؛ فأنت تعبد الله كأنك تراه: أي تعبد الله تعالى وأنت تسعى إليه مشتاق إليه منجذب إليه؛ فيكون آداؤك للطاعات والعبادات يحدوه حاد المحبة الرجاء؛ فإن لم يصل الإنسان إلى هذه المرتبة العليا التي هي مرتبة العبادة: عبادة الفرِح المشتاق المنجذب إلى ربه ومعبوده؛ فإن دونها مرتبة: فإن لم تكن تراه؛ فإنه يراك: وهذه هي مرتبة الهرب أي يعبد الله بروح العبد المشفق الخائف من رقابة الله تعالى واطلاعه عليه، كما الموظف الذي يتقن عمله لعلمه أن رب العمل يطلع عليه من خلال الكاميرات أو من خلال ملاحظته أو نحو ذلك، ولا شك أن كلًا من هاتين الحالين يثمران إحسان العمل ثم

(١) صحيح البخاري (٥٠)، صحيح مسلم (٨).

الذي يعبد الله كأنه يراه يتقنه ويحسنه ويكون هذا مصحوبًا بالشوق لله عز وجل، والذي يعبد الله وهو يشعر برقابته كذلك يتقنه؛ لأنه خائف من الله عز وجل.

وبذلك تمت مراتب الدين الثلاثة.

الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الإِحْسَانُ: وله رُكْنٌ وَاحِدٌ. كما في الحديث: (أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِن لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ)، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ اللّهَ مَعَ الّذِينَ اتَّقَواْ وَّالّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل:١٢٨]. وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ * إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[الشعراء: ٢١٧ – ٢٢٠]. وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١].

هذه الأدلة الثلاثة من القرآن تدل على معية الله تعالى لعبده المؤمن؛ فالله تعالى يقول: {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ } [النحل: ١٢٨] ؛ فهذه معية خاصة، وقوله: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٢١٧) الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٨) وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ} [الشعراء: ٢١٧ – ٢١٩] ، أيضًا يدل على شعور المؤمن بمعية الله ورقابته، وكذلك ما جاء في الآية الأخيرة كلها دالة على إثبات هذه المرتبة من الدين، وهي مرتبة الإحسان.

والله أعلم.